الطريق إلى الله

لفضيلة الاستاذ عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وقد نهضت الدعوة الإسلامية من أول أمرها فى ضوء الكتاب والسنة المحمدية ، وكان الدعاة الذين صاحبوا الرسول عليه الصلاة والسلام ومن خالطهم أو تبعهم فى سبيل الارشاد لايخرجون عما رسم القرآن وما أخذبه الرسول ، فكانت دعوتهم آخذة سبيلها إلى القلوب ، وكانت مسالكهم الشخصية شاهدة لهم بإخلاص النية ، وصدق العزيمة ، والاتجاه إلى ربهم بما يقولون وبما يفعلون وبما يدعو إليه .

وهذا الاتجاه هو التحقيق العملى لقولة تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » وواضح أن هذا الجانب لاينافى أن يعمل المسلم للدنيا من طرقها المشروعة ، فله أن يتكسب رزقه ، وأن ينشط فى حياته الشخصية نشاطا يكفل له مصالحه ونفعه المادى مادام ذلك لايصرفه عن الطاعة ، ولا ينحرف به إلى حرام ، بل يكون هذا العمل نفسه طاعة مطلوبة ، فإن الاسلام دين العزة ، وهو ينشد فى أهله أن يكونوا أغزاء بدينهم وأموالهم وكرامتهم ، لاأن يكونوا أذلاء بالكسل عن العمل المجدى .

وقديما كان الصحابة ومن بعدهم يشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة ويتكسبون من كل طريق حلال ، وكانوا يقودون الجيوش ويتولون الحكم والسياسة وكل ذلك مع شدة تدينهم وتوافر علمهم ، ولم يركنوا إلى التقاعد عن الدنيا ، ولم يروا أن التكسب يعتبر عملا غير دينى كما يتوهم أفراد من الناس .

غير أن أناسا اتجهوا قديما إلى العكوف على العبادة من صلاة وصوم ونحوهما واكتفوا من الدنيا بما يسد الرمق ، وكانت وجهة مقبولة وهؤلاء هم الصوفية كما عرف عنهم وقد قلدهم آخرون لم يبلغوا مبلغهم من العلم بل تقاعدوا عن تحصيل الأرزاق ،

ووكلوا أنفسهم إلى من يمدّ لهم يد المعونة . وتظاهروا بالتقشف والزهادة ليريحوا أنفسهم من مجهود العمل ، وليستريحوا من الكفاح لسدّ فراغهم فى صفوف المجتمع ، وهيأوا للناس أن الدين يقتضى هـذا الانكماش المصطنع ، وأفهموهم أن هذا هو التصوف الذى يسمعون به عن الصلحاء .

وقد غلب على أذهان البسطاء أن هذا الزعم حق ، حتى أصبح التكاسل تقليـداً متبعا يحترفه بعض الحريصين على الشهرة المزيفة على حساب الدين ، مع حرصهم على الدنيا من طريق غيرهم ، كما أصبح تقليداً يستغله بعض المحتالين إذا أعجزهم الكسب من طريق أخرى ، حتى خشينا أن يعتبر التدين موتا أدبيا فى هذه الحياة . إذا نظرنا إلى الراغبين فى الشهرة بالزهادة . وخشينا كذلك أن يفهم خصوم الإسلام أن ديننا فيه شعوذة وخداع وتموت كما نعرفه من كثير من الجهلاء .

ومن الحق أن أمور الدنيا لا يمكن أن تستقيم دون أن يكون فى الناس دعاة يرشدون إلى الحق ويبينون للناس ما ينبغى أن يكون عليه المسلم فى دينه ودنياه ؛ إذ الحياة من غير دين تكون حياة جافة خالية من العوامل الروحية التى ترطب قسوتها ؛ وتهون بلاءها ؛ وتبشر بحسن عاقبتها ؛ وتكون الحياة على هذا الغرض طريقا محفوفا بالأشواك غير مأمون العاقبة .

وإذا كنا نشهد أن أقواما من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ما بين محترفين يبالغون فى اصطناع التدين . وما بين منحرفين عن الدين ومظاهره يسيرون فى إفراط وراء ما يتاح لهم من أعراض الدنيا ، فهل نيأس من النظر فى شأن هؤلاء وهؤلاء ونترك الأمر على حاله ؟ .

إذا قعدنا عن الدعوة الصحيحة إلى الدين الصحيح كنا فريقا ثالثا مع الفريقين اللذين نعيب عليهما ما تقدم ، فتداركا للفرار من هذا الخطأ ، ومبادرة إلى الواجب نقول : يجب أن يرتفع الصوت بالدعوة الدينية بكل وسيلة يستطيعها أهل العلم ورجال الدعوة فى كل مكان .

وقد أصبحنا نجد روحا جديدة فى صفوف الدعاة الذين نعرفهم باسم رجال الطرق .

حفزتهم فى هذه الأيام على إصدار مجلة تتحدث بلسانهم وتنشر دعوتهم ، ونحن نستبشر بهذا النشاط ونرجو لهم التوفيق فى السير على منهاج الكتاب والسنة ، والبعد عما يشوب دعوتهم مما لا يتفق مع جلالها وأثرها فى إصلاح المجتمع وبخاصة المجتمع الريفى .

حينئذ تكون دعوتهم عاملا معترفا به فى إصلاح الحياة الاجتماعية من طريق الدين وتكون الدعوة بنشاطها هذا مسايرة لروح الثورة الاصلاحية التى دبت فى كل جانب من جوانب المجتمع العربى .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلمـــاء
ومدير التفتيش بالأزهر

أهل الذكر

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل ، تنادوا ، هلموا الى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم مايقول عبادي ؟ قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال : فيقول ، هل رأونى قال : فيقولون لا والله مارأوك ، قال فيقول وكيف لو رأونى ؟ قالوا : ولله لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميداً ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : فيقول فما يسألونى قالوا : يسألونك الجنة قال : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله يارب ما رأوها ، قال : فيقولوا فكيف لو أنهم رأوها ؟ فيقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار قال هل رأوها ، قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال ، يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ، قال فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال يقول : ملك من الملائكة ، فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجته ، قال : الجلساء الصالحون لا يشقى بهم جليسهم »